والفكر والصراع، بالتأمل والفهم والتحليل، بالعلم والفن، وأخيرا بالضحك أو بالبكاء، ولم لا نقول بحكايتها وكتابتها من جديد؟.

هـ ـ الضحك والبكاء حالتان من حالات الحياة يتم التعبير عنها باللغة أو بأي أداة أخرى. وهما ـ في الفن ـ أداتان من أدوات التعبير عن أحوال الناس وطقوس الحياة، عن جدلية الواقع والامكان، عن توق الانسان نحو الاكمل والافضل ...

إنهما مفهومان متلازمان، يقترن أحدهما بالآخر ويستدعيه. وهما في اقترانهما وتلازمهما يفترقان ويتباعدان الى درجة التنافر والتضاد، حين يمثلان قطبين متعارضين في الموقف والتجربة وتصورين متناقضين للحياة وللوجود. في كثير من مواقف الانسان وتجارب الحياة اليومية البسيطة والتاريخية الكبيرة يبرز نموذجان من الناس يمثل أحدهما المفهوم الاول ويصدر عنه. ويرتبط الثاني بالتصور الآخر ويعبر عنه.

النموذج الاول، الباسم الضاحك يتميز في طبيعته وسلوكه وتصرفاته بخصائص تجعل منه شخصًا مرحًا مستبشرا، متفائلا، مقبلا على الحياة، متهالكًا عليها، يواجهها بابتسامته المرحلة وروحه الضاحكة، غير مبال بوجهها الكالح ونوائبها السوداء..